النوع الثامن عشر

المعلَّل من الحديث

❁ وهو فَنٌّ خَفِيَ على كثيرٍ من عُلماءِ الحديثِ، حتى قال بعضُ حُفّاظِهم: معرفتُنا بهذا كهانةٌ عند الجاهل.

وإنما يَهتَدِي إلى تحقيقِ هذا الفَنِّ الجَهابِذَةُ النُّقَّادُ منهم، يُمَيِّزون بين صحيح الحديثِ وسَقيمِه، ومُعوَجِّه ومستقيمِه، كما يُميِّز الصَّيرَفيُّ البصيرُ بصناعتِه بين الجِيَادِ والزُّيُوفِ، والدنانيرِ والفُلوس، فكما لا يَتمارى هذا، كذلك يَقطَعُ ذاك بما ذكرناه، ومنهم مَن يَظُنُّ، ومنهم مَن يَقِفُ، بِحَسَبِ مراتبِ عُلومِهم وحِذْقِهم واطِّلاعِهم على طُرِق الحديثِ، وذَوْقِهم حلاوةَ عبارةِ الرسول ﷺ التي لا يُشبِهُها غيرُها من ألفاظ الناس[1]. [٥٢]

[شرح٥٢] هذا النوع من أهم الأنواع عند أهل العلم في الحديث: =

(١) ص ٥٣.

.....

= الأحاديث المعلَّلة، وكما قال المؤلف هنا: فنٌّ خَفيَ على كثير من علماء الحديث؛ فلا يدركه إلا الحفَّاظ منهم، أهلُ البصائر الذين لهم مِراس بالأحاديث، وعناية بالأسانيد، وعناية بألفاظ النبي ﷺ، وطرقه في الإخبار عن الأشياء، والتنبيه عليها، والدعوة إليها، إلى غير ذلك مما اعتادوه من أحاديث النبي ﷺ ومارسوه وحفظوه وجمعوه، واعتادوه أيضاً من الروايات، وكذلك معرفتهم بشيوخ الشخص وتلاميذه، ومَن أكثر عنه ومَن أقلَّ عنه، إلى غير ذلك.

فيحصل لهم بهذا دراية خاصة حتى قال بعضهم: معرفتُنا بهذا كهانة عند الجاهل؛ لأن الكاهن يخبر بأشياء مغيَّبة ليس لها أسباب واضحة، فهكذا هؤلاء الذين عُنُوا بالحديث، قد يُعِلُّون الحديث ويقولون: إنه ضعيف، بأشياء لا يدركها عامة المحدثين الذين ليس لهم البصر الناقد في هذه الأشياء.

والعلَّة: عبارة عن أسباب خفية، إنما تظهر بجمع الطرق والأسانيد، ومعرفة شيوخ الراوي وتلاميذه، ومَن أكثر عنه ومَن أقلَّ عنه إلى غير ذلك. فعندما يجمع الطرق ويتأملها يتضح له =

.....

= الحديث، فقد يكون مسنداً بالظاهر، ولكن يَبِينُ للحافظ الناقد أن الحديث ليس مسنداً، بل منقطعاً أو مرسلاً، أو فيه علة خفية لم يتنبَّه لها الرواة، إلى غير ذلك.

فالحاصل أن للعلل أسباباً خفية في الغالب، لا تتضح ولا تظهر إلا لجهابذة النقاد من علماء الحديث، إما بقطعِ موصولٍ، إو إرسالِ متصلٍ، أو إبدالِ راوٍ براوٍ، فيتبين للحافظ أن الراوي وَهِمَ في هذا الشخص، وأتى بثقة بدل ضعيف، فالتبس عليه الأمر، فيتضح أن الحديث ضعيف؛ لأنه من رواية الضعيف لا من رواية الثقة، إذا كانا مشتبهين في الأسماء وأسماء الآباء، أو يظن الرواة الأكثرون أنه متصل، ثم يَبِينُ للحافظ الناقد أنه منقطع، أو أنه مرسل، أو أنه من كلام بعض السلف، وليس من كلام النبي ﷺ ووَهِمَ بعض الرواة ورفعه إلى النبيِّ ﷺ إلى غير ذلك، ولهذا قال الحافظ العراقي هنا:

تُـدرَكُ بالـخِـلافِ والتفـرُّدِ مـع قـرائنَ تُـضَـمُّ، يـهـتـدِي
جِهبِذُها إلـى اطِّلاعِـه عـلـى تصويبِ إرسالٍ لِـمَا قد وَصَلا